الهجرة غير شرعية تفسيراتها، ميزاتها، دوافعها.

أ. موسى معطاوي.
جامعة البويرة

الملخص: نستعرض من خلال هذه القراءة السوسيولوجية اهم طرح لعملية التغير الذي طـــال المجتمع في جميع جوانبه المختلفة وهو طرح الهجرة غير الشرعية او السرية، من خـــلال تقـــديم اهـــم تفسيرات هذه الهجرة وكذا مميزات المهاجرين غير الشرعيين ودوافعهم الاجتماعية والنفسية والماديـــة وكذا الدوافع الجغرافية والتاريخية والسياسية. هذا بالإضافة الى الاتجاهات التي تناولت الهجـــرة غـــير الشرعية كالاتجاه الثقافي و اتجاه التنظيم الاجتماعي و الاتجاه الاقتصادي و الجغرافي مع عرض لأهـــم الخصائص و التيارات المميزة للهجرة غير الشرعية.

Summary: When considering these circumstances sociological reading the most important launch.for.the.long process of changein the who lsociety And its different aspects is to clandestine immigration or confidential, providing the most important interpretations of these circumstances and immigration as well as features of illegal and social reasons, psychological and physical and immigrants, even those geographical, historical and political, in addition to the admission of cultural trends Kalatjah reasons illegal immigration and the management of social and economic trends and geographical organization and the presentation of the most important features and distinct streams of illegal immigration

مـــقـــدمـــة:

ان مفهوم الهجرة مرتبط بتلك التحركات البشرية التي تصنف على نحو التحرك من محل إقامة ثابت، و الارتحال أو التنقل الدائم و المستمر أو تغيير محل الإقامة بشكل نهائي و لذا نجد القاموس الجغرافي للأمم المتحدة يشير إلى أن الهجرة نوع من الحراك و التنقل بين إقليم جغرافي و أخر وفق تغيير محل الإقامة الأصلـــي[1]، ووفق هذه التعاريف يصعب تحديد مفهوم موازي للهجرة غير الشرعيـــة و يمكن الإحاطة بها من خلال أنها عبارة عن انتقال البشر من مكان لآخر سواء كان في شكل فردي أو جماعي لأسباب سياسية اقتصادية،أو اجتماعية ، كما أن الهجرة الشرعية تنظمها قوانين وتحكمها تأشيرات دخول تمنحها السلطات المختصة بالهجرة في المقابل الهجرة غير الشرعية تتم مخالفة لهذه القوانين ودون الحصول المهاجرين على تأشيرات دخول[2]، و تسمية المهاجر غير الشرعي ليق بالهجرة غير الشرعية ويعتبر مهاجر بدون وثائق و في وضعية غير قانونية و يعرفه المكتب الدولي للعمل BIT بأنه كل شخص يدخل أو يقيم أو يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيصات القانونية اللازمة، ولذلك

يعتبر مهاجرا غير شرعي أو سري أو بدون وثائق[3]، أو في وضعية دون تغطية قانونية و غير رسمية و تشير منظمة العمل الدولية OIT إلى أن الهجرة غير الشرعية هي التي يكون بموجبها المهاجرون مخالفون للشروط التي تحددها الاتفاقيات الدولية و القوانين المحلية الوطنية بمعنى أفراد بدون هوية و بدون وثائق رسمية جوازات و بدون تأشيرات أو حاملي لوثائق وتأشيرات مزورة.

هذا ووضع الإحصائيون دلالة للهجرة من خلال اعتبارها حركة من خلال الحدود الدولية ما عدا تلك الحركات التي تأخذ شكل السياحة والتي تدخل ضمن إحصائيات الهجرة فإذا كانت هذه الحركة لمدة عام وأكثر من عام تحسب هجرة دائمة، وإذا كانت أقل من عام فتعد في مسار الهجرة المؤقتة في المقابل نجد أخصائيو علم السكان يشيرون إلى أن الهجرة هي الانتقال بشكل فردي أو جماعي من موقع لأخر بحثا عن وضع اجتماعي واقتصادي وديني وسياسي أفضل، و يوضح علم الاجتماع الهجرة من خلال أنها تدل على تبدل وتغير الحالة الاجتماعية كتغيير المهنة أو الحرفة وأن الهجرة تحول اجتماعي يتنقل فيه الأفراد من مستويات الفقر إلى الأكثر ثراء في ظل ظروف اجتماعية معينة[4]، و يتضح من هذا التعريف أنه ترجمة فعلية لعملية الحراك المهني الذي يتضمن تغيير الحرفة والانتقال لحرفة أخرى، ويتضمن نوع من الحراك الاجتماعي النازل والصاعد الذي قد يجعل من هم في أدنى المستويات من فقر وعوز إلى أثرياء ومثالها ما تفعله الحروب والتبدل الذي يصيب التدرج الاجتماعي والطبقات الاجتماعية، وفي طرح عملية الهجرة غير الشرعية في خضم كل هذا التعاريف يمكن الإشارة إلى أن الهجرة غير الشرعية دلالة على تنقلات يحدثها المهاجر غير الشرعي لتبديل وتغيير وضعه الحياتي بدون استيفاء الشروط القانونية في البلد المرغوب الإقامة فيه والمهاجر إليه، و يكون فيه أجنبي alein بعد انتهاء تأشيرة الدخول[5]، ويصبح أجنبي مقيم بصفة غير شرعية illégal alein.

1- تفسيرات الهجرة و مميزات المهاجرين و دوافعها:

انصب اهتمام العديد من الباحثين حول ظاهرة الهجرة غير الشرعية و آثارها و انعكاساتها و ركز قدماء الدارسين للهجرة في حد ذاتها على تباين هذه الظاهرة من مجتمع لآخر و ذلك ما دعا بالعديد إلى تفسيرها و التنظير لها بحيث أنها كانت تقتصر على عامل الإحصاء و الدراسات السكانية و كذا تلك الدراسات المهتمة بالتحركات السكانية ،و جميعها كانت مهملة لعمليات عدة كالاندماج الاجتماعي والتثاقف والتماثل، و التكيف الاجتماعي و من ثم ركزت غالبية الدراسات السوسيولوجية للهجرة على اعتبارها من عوامل التغير الاجتماعي social change بشقيه الإيجابي

و السلبي ،و لذا سنتعرض الى ثلاثة اتجاهات رئيسية في تفسير الظاهرة وهي كالآتي:

2_1 التفسير الاجتماعي للهجرة غير الشرعية:

تشير أدبيات علم الاجتماع إلى أن الهجرة هي انتقال الإنسان من موطنه الأصلي و بيئته المحلية إلى وطن آخر للارتزاق و كسب وسائل عيش أو لسبب تجاري أو سياحي أو سياسي، و غالبا ما تكون هذه الهجرة اضطرارية أو جبرية forced migration [6]، خارجة في الغالب عن إرادة الإنسان كالهجرة التي عرفتها الشعوب الأولى و التي تحدث اجتنابا للكوارث الطبيعية كالزلازل و الفيضانات ، و كذلك تلك الهجرات التي كانت تتم طلبا للسلم و الأمن من طرف أفرادهـــا نتيجة لغـــزو مرتقب أو حاصل بالفعل وللهرب من خطر محدق أو لأسباب اقتصادية و دينية و عرقية، و لذا نجد الخبراء السوسيولوجيون يرون في ظاهرة الهجرة غير الشرعية ظاهرة مصاحبة لنماذج النجاح الاجتماعي للآخر و بالتالي عامل جذب وكذا تبدل سلم القيم و صعوبة التكيف مع المجتمع الأصلي و ضعف في الروابط الاجتماعية و هشاشتها الرامية إلى ضعف عملية التضامن solidarité وكذا اختلال التوازن بين الوسائل و الطموحات المرجوة التحقيق، فيعمد الأفراد إلى ترك و مغادرة البيئة التي يعيشون فيها و لا تشعرهم بالدور الذي يشعرهم بالوجود فيختارون آلية بديلة في صيغة "حرقة" أو هجرة غير شرعية خاصة و انعدام المعيار الذي وفقه يعيش بعض الأفراد، و انعدامه يدفعهم للهجرة. و حسب ايميل دوركايم[7]، فإن عملية تفسخ القيم وانحلالها داخل المجتمع تنتج فجوة و ثغرة بين العيش في ظل حياة اجتماعية عميقة و بين التقبل للعيش في ظلها وهذا ما يدعو المهاجر غير الشرعي إلى التوجه لآلية "الحرقة" كبديل لعدم التقبل .كما يمكن لبعض الأفراد أن يتوجهوا للهجرة غير الشرعية كتقليد للجماعة التي ينتمون إليها و يتمسكون بها حيث يتحدد فعل الفرد تبعا للشخصية وللتجارب الفردية لصاحب الفعل وفق الجماعة التي يختلط بها [8]، و بها يتشكل موقفه و توجهه وفق علاقة تفاعلية.

هذا وترجع الهجرة حسب التفسير الاجتماعي لها إلى مجموعة من العوامل المتداخلة ،و يجب النظر إلى الهجرة والمهاجرين نظرة كلية متكاملة بدليل أن أعلام علم الاجتماع و المحللين السوسيولوجيين يستقرؤون الواقع من خلال أرقام و إحصائيات و يعتمدون على دراسات ميدانية و نتائجها و لذا نجد التفسير الاجتماعي يعتد باتجاهات في تفسيره من خلال :

أ–الاتجاه الثقافي: وهو يرى أن الثقافة تشجع بشكل كبير في حدوث الظاهرة وهي المسؤولة عن الميل لها، و إذا ما اقترنت العوامل الثقافية بالعوامل الاقتصادية فإنها تعطي للهجرة طابعا خصوصيا واسعا

وكذلك الثقافة المقترنة بالبدو و الرحل و كذا الشعوب البدائية[9] ، بالإضافة إلى عملية الانتشار الثقافي وفكرة "الحرقة" التي تنطوي على عملية الترابط و الصراع و المساعدة على انتشارها أي انتشار العناصر الثقافية كثقافة أو فكرة "الحرقة" من مجتمع إلى مجتمع آخر.

ب–اتجاه التنظيم الاجتماعي: حيث يشير "مانقلام" mangalam إلى الهجرة باعتبارها من عمليات التغير الاجتماعي و يوضحها اختلاف وضع المجتمع و نظامه الاجتماعي في فترتين مختلفتين و في هذه الأثناء تعمل الهجرة على حفظ عملية التوازن للنظام الاجتماعي و تعطي أعضاءه طرقا ليتخلصوا من حرمانهم [10]وفي المقابل نجد بعداً آخر في ظل التفسير الاجتماعي للهجرة و الهجرة غير الشرعية و يتعلق هذا البعد أساسا بشبكات الهجرة [11]، و هو الذي يفسر الهجرة عن طريق إقامة الروابط الاجتماعية بين المهاجرين و غير المهاجرين و هي روابط تربط أكثر الدول الأصلية للمهاجرين و الدول المهاجر إليها حيث يقدم كل مهاجر فرصا للأشخاص من محيطه كفرد من أسرته أو من عشيرته أو من الجيران لحثهم ومساعدتهم على الهجرة و في هذا الإطار فإن قرار السفر لا يقوم بشكل أساسي على حساب اقتصادي و عقلاني بحت على النحو الذي تفسره النظريات الجديدة حول الهجرة و لكن على نحو تلك المعلومات التي تم جمعها عن مدى توفر الأشخاص الذين يستطيعون دعم المهاجر ماديا و نفسيا خلال جميع مراحل انتقاله أيضا تسمح بشبكات الهجرة من خلال تأثيراتها في تقليل المخاطر و التكاليف عن المهاجرين و المهاجرات المستقبليين بالإستمرار الذاتي لعملية المهجرة ، كما نجد أن شبكات الهجرة تربط بين الأشخاص المنتمين لنفس المجتمع الأسري و العرقي و اللغوي و الديني و تعمل تلك الشبكات كمقدمة لخدمات تقلل من تكلفة الهجرة و أن تأخذ في الحسبان وجود مخزون من تعداد المهاجرين المشتتين في عدة مدن و بلدان ن وهذا هو أحد المعايير الهامة التي تتدخل في قرار الهجرة، و هكذا كلما كانت الشبكة متطورة كلما انخفضت التكاليف و زادت الهجرة حدة، و يلعب رأس المال الاجتماعي للمهاجر دورا أكثر أهمية من رأس المال النقدي.

ج–اتجاه خصائص المركز الاجتماعي: حيث سجل توماس خلال عام 1939 أن السن من أكثر خصائص المركز الاجتماعي المؤثر في الميل نحو الهجرة و تشير أبحاث أخرى أن المستوى التعليمي والحالة المهنية لها تأثير كذلك و يصعب الفصل بتاتا بين الدور الاجتماعي للفرد و اتجاهه نحو الهجرة.

1_3 التفسير الاقتصادي للهجرة غير الشرعية:

حيث تأخذ هذه النظرية بالعوامل الطاردة في المجتمع الأصلي كقلة فرص العمل و البطالة،و في المقابل تأخذ بعوامل الجذب في المجتمع مستقبلا ،ذلك لأن المهاجر يترك موطنه الأصلي بحثا عن العمل

و بالتالي فسلوك الهجرة يتماشى و المنفعة الاقتصادية في موطنه الأصلي [12]، هذا وإن الملاحظ في الطرح الاقتصادي لظاهرة الهجرة يرى أنها ركزت فقط على الإقبال نحو الهجرة والذي يقتصر على الحاجة والبحث عن المال فقط ،مهملة بذلك المؤثرات الأخرى في التوجه و الميل الإنساني نحو سلوك الهجرة كالحرمان ، العوز...الخ.

كما لا يخفى على أعلام السوسيولوجيا و الاقتصاد بأن النظريات الاقتصادية المتعلقة بالهجرة كانت ذات هيمنة واسعة و أنها تطرقت لمسألة الهجرة بتلك العوامل المرتبطة بالوظائف و الأجور حيث يقدم المنظر الجغرافي الانكليزي "أرنست رافنستين "–صاحب أول نظرية في الهجرة خلال 1885 [13]، من خلال تحليل بيانات تعداد السكان – و يخلص إلى أن الهجرة محكومة بدوافع الجذب و الدفع و أن الظروف الاقتصادية المزرية أو السيئة تدفع ببعض أفراد المجتمع إلى ترك بلدانهم الأصلية إلى مناطق أكثر جاذبية ويرى أن الهجرة تتزايد مع تطور التكنولوجيا، و الملاحظ أن ارنست رافنستين وضع الهجرة في بيئة أكثر عموما معتبرا تقدم الهجرة كحركة تنطلق من محيط الدائرة إلى مركزها و المسافة المقطوعة بالمهاجرين،و في المقابل نجد "إفيريت لي" يعيد صياغة نظرية "رافنستين" مركزا بذلك على عوامل الدفع.

و على العموم فإن التيارات الكبيرة للهجرة المعاصرة لا يمكن فصلها عن التفاوت الاقتصادي بين أفراد المجتمع و هذا ما أظهرته التحليلات الاقتصادية التقليدية للهجرة من خلال تركيزها بشكل كبير على الجانب الفردي للهجرة وعلى ضرورة وجود كسب أعلى أو إضافي يبرر الانتقال.

1_4التفسير الجغرافي للهجرة غير الشرعية:

حيث يهتم بدراسة عوامل الطرد من المجتمع الأصلي و تحديد المجتمع المستقبل ، كما حاول أصحاب هذا الاتجاه الربط بين عدد السكان و خصائص مناطق تواجدهم و دراسة إمكانية وجود توازن بينهم وأن أي عدد يزيد عن العدد المسموح به يؤدي إلى الإخلال بالتوازن فيدفع بالعدد الفائض أو الزائد الى الهجرة [14]، كما يشير هذا الاتجاه إلى أن الفئة المهاجرة تختار منطقة الاستقبال في ظل ظروفها البيئية والجغرافية مع موطنهم الأصلي.

هذا وإن عوامل الطرد و الجذب محددة بأسباب رئيسية للهجرة و المتمثلة في الاتصال و تعدد العلاقات القائمة بين البلدان الأصلية للمهاجرين و المستقبلة لهم، كما أن سمات الطرد و الجذب تتميز بها البلدان الأصلية للمهاجرين و البلدان التي يهاجر إليها الناس مع يطرح متغيرات إقامة جماعة تنظم الهجرة بشكل مخالف كشبكات تنظيم"الحرقة "كما أن عوامل الطرد هذه ممثلة غالبا في العوز و الفقر و

الاضطهاد خلاف تلك العوامل التي تساهم في الطرد و غالبا ما تتمثل في الحروب و المجاعات [15]، الزلازل و تتمثل كذلك في النمو الديمغرافي و كثرة السكان و أثر ذلك على الغذاء خاصة لدى الدول الفقيرة التي تناضل من أجل مواجهة مشكلة الفقر، حيث توجد علاقة واضحة بين عدد السكان و تزايد أعدادهم و بين تزايد احتياجاتهم من المواد الغذائية[16] ، بالإضافة إلى عوامل مرتبطة بالبحث عن الرفاهية ، في المقابل نجد عوامل الجذب تتمثل غالبا في الزيادة المطلوبة على العمل في بعض القطاعات و المهن بدليل أن أسواق العمل تستورد مهاجرين في ظل عدم قدرة العرض فيها أو الأيادي العاملة المحلية على تلبية الطلب بالإضافة إلى عامل الشيخوخة التي تزحف على الدول الصناعية و بالذات أوروبا الغربية [17]،وهذا ما يؤدي إلى انكماش العمل وازدياد أعداد الخارجين من سوق العمل.

2_ مميزات وسمات المهاجرين غير الشرعيين:

من بين القوانين العامة و الثابتة الفروق بين المهاجرين و التي تعتبر قاسم مشترك بين المهاجرين تتمثل غالبا في تلك الخصائص المقتصرة على النوع و العمر أو السن و المستوى التعليمي و المركز الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية و التي نستعرضها كما يلي:

1–الجنس: و نعني به الذكر والأنثى وميل كل واحد منهما للهجرة، حيث يرى الكثير من الباحثين أن الذكور أكثر قابلية للهجرة من الإناث وذلك لأن جنس الذكور يقع على عاتقه عبئ المسؤولية الحياتية.

2–السن: و يعني بذلك اتجاه بعض الأفراد من فئات عمرية معينة للهجرة أكثر من غيرها من المجتمع المعاش الأصلي حيث يرى الكثير من الدارسين أن الشباب في سن النشاط و الإنتاج هم أكثر ميلا خاصة تلك الفئة العمرية المنطوية من 20 إلى 34 سنة[18]، و هي فئة أكثر استعدادا للهجرة من باقي الفئات العمرية.

3–المستوى التعليمي: يتضح أن للمستوى التعليمي دورا كبير ا و أثرا واسعا في عملية الهجرة إذ أن هناك رابطة إيجابية بين ارتفاع مستوى التعليم و التفكير في الهجرة ،إما لمواصلة طلب العلم والداسةوالبحث أو طلبا لحياة أكثر اتزانا من حياة المجتمع الأصلي.

4–المعيار الأخلاقي: إن النبلاء و الأشراف و كبار الفلاحين و المستثمرين أكثر ميلا للهجرة ،وفي المقابل هناك فئة المنحرفين و المجرمين وهي كذلك تعتبر فئة تتجه نحو الهجرة بشكل كبير[19]، نظرا للقوانين والأعراف التي تجبرهم على الامتثال ،وهذا ما يدعوهم للبحث عن أماكن أكثر ترجمة لانحرافاتهم.

3 _دوافع الهجرة غير الشرعية ،خصائصها و تياراتها:

تعاني المجتمعات عامة إشكالات عديدة ترجع في معظمها إلى الاستعمار وما خلفه من اقتصاد هش والغالب في نشاطها الاقتصادي يقوم على الزراعة و الرعي، بالإضافة الى النزاعات العرقية و الدينية، ناهيك عن البطالة و الفقر و تدني المستوى المعيشي.

هذا و من الملاحظ أن شريحة الشباب يشكلون القطاع الأكبر من المهاجرين غير الشرعيين في العالم.

1.3. الدوافع المادية و الاقتصادية للهجرة غير الشرعية:

تسجل معدلات البطالة في المجتمعات أرقاما قياسية بالمقارنة مع عدد السكان خاصة لدى مجتمعات إفريقيا ، خصوصا في قطاع الشباب حيث نجد تقرير منظمة العمل الدولية و الصادر عام 2009 يذكر أن نسبة 13 % من الشباب الذين تتراوح سنهم ما بين 15–24 يصبحون عاطلين عن العمل بنهاية عام 2010 أي نسبة 81 مليون من الشباب عاطلين و توقع التقرير أن تواصل البطالة الارتفاع بوتيرة أبطأ في جميع مناطق إفريقيا ما عدا دول الشرق الأوسط و دول شمال إفريقيا[20]، كما أن الفقر و الأمية تساهم بشكل واسع في تفشي ظاهرة الهجرة السرية من عدة جوانب و لذا نجد الجزائر عملت جاهدة على مكافحة الأمية لان التجربة دلت أن التنمية متوقفة إلى حد بعيد على ترقية الإنسان و هذا يتأتى عن طريق التربية والتعليم والتكوين[21] في المقابل تجدر الإشارة إلى أن الهجرة السرية قد تخرج عن نطاق غير المتعلمين و الفقراء إلى نطاق الجامعيين و بعض المستفيدين من قروض في إطار تشغيل الشباب [22]، و تتم هجرتهم سرا عبر البحر.

و أحيانا لا تكون البطالة هي السبب في هجرة حملة الشهادات الجامعية بل يكمن رد ذلك الى عدم قدرة البلد على استيعاب التخصصات او تقدير الكفاءات، كما أن البطالة بوصفها عامل طرد أساسي هي ما يدفع الفرد إلى البحث عن منافذ أخرى للكسب و زيادة المداخيل.

هذا وعلى الرغم مما حققته القارة الإفريقية من رفع في مستوى معيشة الأفراد إلا أن حصة إفريقيا ممن يعيشون تحت خط الفقر مازالت هي الأكبر بحيث يقدر هؤلاء بحوالي 522 مليون ، أما في جنوب أسيا خلال عام 1998 فنجد في المقابل ما يقارب 291 مليون في إفريقيا جنوب الصحراء و 278 مليون في شرق أسيا و منطقة المحيط الهادي و في شرق إفريقيا هناك ما يقدر بنحو 17.4 مليون شخص يعانون من عدم الأمن الغذائي[23] ، و على الرغم من تحسن الوضع في إثيوبيا و السودان و برفقة هذه الدوافع أضف إلى ذلك تطلع بعض أفراد المجتمع و خاصة الشباب منهم إلى الجنة الموعودة في بلاد المهجر والمتمثلة في الأجور الضخمة و التقديرات التي يتلقاها الموهوبون حسب تقديراتهم.

2.3. الدوافع النفسية و الاجتماعية للهجرة غير الشرعية:

ترتبط الدوافع الاجتماعية بالدوافع الاقتصادية ارتباطا طرديا، فالبطالة و تدني مستويات المعيشة على الرغم من كونها عوامل اقتصادية إلا أنها ذات انعكاسات اجتماعية و نفسية سلبية في المجتمع الذي تبرز فيه، فالأفراد يتطلعون إلى الهجرة بدافع نماذج النجاح الاجتماعي أو بحثا عن الوجاهة و المكانة الاجتماعية المفقودة في بلادهم الأصلية بفعل العوز و الحاجة و يندفعون نحو الهجرة و قبول المخاطرة إلى الحد الذي يقبلون فيه أي عمل مهما كان تافها وهذا سعيا وراء تحقيق أحلامهم الشخصية، بالإضافة إلى أن فكرة الهجرة تحولت إلى عملية ضرورية لجمع مدخرات و توفير مسكن لائق و مشروع صغير لاستكمال مسيرة الحياة[24]، و بالتالي تصبح الحالة الاجتماعية و النفسية هي أحد الدوافع الهامة لدى بعض الشباب إلى الاتجاه نحو صور الهجرة غير الشرعية خاصة إن كانت مدعومة بإملاءات وسائل الإعلام و الاتصالات والانترنت المنتجة لحوافز جذب الهجرة بشكل كبير، و حينها تكون المفارقة كبيرة بين الواقع الذي يعيشه الفرد في بلده وبين ما يراه على وسائل الإعلام و احتكاكاته في مواقع الدردشة و التواصل الاجتماعي من أشكال الرفاهية في دول العالم الأول أو حتى في دول العالم الثالث التي بلغت درجة أفضل في النمو الاقتصادي، وبالتالي يتحول حلم الهجرة لدى هاته الشريحة من الشباب إلى هم أساسي و يجعل من الهجرة برنامجا من أجل المستقبل فيستحق من اجله تكبد المشاق و خوض الصعاب و المجازفة ، و لا يخفى كذلك ما أملته وسائل الإعلام الجديد المتمثلة في الانترنت و التي أخذت بعدا جديدا في ترويج فكرة الهجرة غير الشرعية ،و هذا ما أكدته مجريات المؤتمر المنعقد في مدينة لاهاي حول الهجرة غير الشرعية في شهر ماي 2011 و التي أكد الخبراء فيها على أن الشباب في بلدان البحر الأبيض المتوسط و جنوبه يعتمدون بشكل كبير على تقنيات الانترنت و مواقع التواصل الاجتماعي [25] ، و ذلك للتواصل مع نظرائهم الأوروبيين أو المهاجرين من البلد الأصلي في أوروبا بحثا عن فرص للهجرة و فهم الحواجز الأمنية و القانونية التي تفوق هجرتهم بين جنوب و شمال البحر الأبيض المتوسط .

هذا و أشار أخصائيو المؤتمر إلى أن تأثير التكنولوجيا الممثلة في شبكة الانترنت في تشكيل أفكار الشباب و انطباعاتهم حول الهجرة ،يفوق تأثير وسائل الإعلام التقليدية كالتلفزيون و الراديو والصحافة ، كما و تزداد الدوافع الثقافية و النفسية لدى الشباب في اتجاههم نحو الهجرة [26]، بسبب الدور الكبير الذي تؤديه وسائل الإعلام الحديثة و خصوصا الانترنت

هذا و للمستوى التعليمي المنخفض دور في إقبال بعض أفراد المجتمع نحو الهجرة غير الشرعية خاصة

لدى فئة غير المتعلمين كما يؤكد الواقع التاريخي و الاجتماعي أن عوامل عدة قد لعبت دورها في صيرورة ظاهرة الهجرة، فتاريخ المجتمع الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي و كذا خلال القرن الـ 19 م و الذي عاش فيه المجتمع الجزائري جميع أنواع التقهقر الاجتماعي و الاقتصادي إلى جانب تلك القوانين الاستثنائية المسلطة عليه و فقدان حريته السياسية مع ثقل الضرائب و مصادرة الأوقاف و إدارة الشؤون الدينية والقضائية من طرف المؤسسة الإدارية الاستعمارية إضافة إلى عرقلة المجالس المحليـــة للتعليم العربي[27] كلها عوامل دعت إلى بلور ة جو الهجرة و الهجرة السرية ، إضافة إلى عمليات التهجير القسري لبعض الأفراد الجزائريين الذي مارسه في حقهم المستعمر الفرنسي انطلاقا من أول عملية تهجير لجزائريين مباشرة بعد إمضاء معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 حيث بدأت العسكرية الفرنسية بتطبيق المادتين الثالثة و الرابعة من شروط معاهدة حيث تنص الأولى على ضرورة خروج الداي حسين من الجزائر والثانية تخص عملية تهجير عناصر الانكشارية ، و قد تم ترحيل الداي حسين في 1830/07/10 على متن باخرة "جان دارك" إلى نابولي و في 1830/07/11 بدأ ترحيل أفراد الانكشارية .[28]

3.3. الدوافع الجغرافية و التاريخية للهجرة غير الشرعية:

للعوامل التاريخية و الممثلة غالبا في الاستعمار أثر كبير في توجه المجتمعات نحو البلدان المستعمرة سابقا،و للعوامل الجغرافية و التضاريس أثر كبير في زيادة معدلات الهجرة إلى الخارج ،كما أن لعامل المناخ دورا في ذلك ،خاصة في البيئة الحارة و المناطق التي تشهد الزلازل و الفيضانات حيث تشكل مناطق طرد للسكان ، كما أدت هذه العوامل إلى ترك الأفراد لأماكنهم سواء بشكل فردي أو حركات جماعية [29]، لاسيما و أن الكوارث الطبيعية تتسبب بنحو كبير في تدمير ممتلكات و مشاريع بعض الإفراد و لهذا يعدون للهجرة إلى دول خارجية من أجل الاستقرار في مكان آخر [30]، يتضمن ظروف الأمن و العمل والاستقرار ،وفي هذا الصدد يوضح تقرير اقتصادي للأمم المتحدة خلال عام 2001 أن بعد فترة 1986 ستكون هناك مناطق شاسعة في قارة إفريقيا تعاني من الجفاف و التصحر [31]، و بذلك فالعامل البيئي عامل هام في هجرة العديد من الأفراد وفرارهم من قساوة الطبيعة و غالبا ما ترجمت هذه الهجرات في شكل غير قانوني .

4.3. الدوافع السياسية للهجرة غير الشرعية:

حيث تؤدي الصراعات السياسية ، و الصراعات العرقية والحروب الأهلية civil war إلى فرار العديد من الأفراد خارج أوطانهم إلى دول مجاورة أو إلى مناطق يشيع فيها الأمن و الهدوء و السلام

الاجتماعي، وغالبا ما تكون هذه التنقلات في شكل لجوء إلى المناطق المقصودة في هجرتهم كالحال في تلك الهجرات التي تمت من أقاليم مصر و ليبيا و سوريا و التي شهدت مجتمعاتها صراعات سياسية داخلية انطلاقا من 2011 ،وسرعان ما تحولت إلى حروب أهلية ، ولهذا تأتي الحروب الأهلية على رأس قائمة الدوافع السياسية التي تؤدي للهجرة ، و الهجرة غير الشرعية ، و إذا لم يفتح لهاته الشركة الفارة من هاته الصراعات بطرق مشروعة ، فيستوجهون إلى بديل الهجرة غير الشرعية و دخول بطرق غير منظمة فالنزاعات والحروب و الاضطرابات السياسية تعتبر كذلك من العوامل المؤثرة في ظهور ما يعرف بالهجرة القسرية forced migration. ومن خلال ما ذكرناه آنفا تترجم هذه الهجرة في شكل لجوء أو نزوح، و في إفريقيا تقدر هاته الأشكال من الهجرة بنحو 25 مليون شخص منهم 10 ملايين لاجئ

و 15 مليون خارج ، هذا وتضم إفريقيا أكثر من 18 دولة تعاني نزاعات داخلية [32]، بالإضافة إلى دواع التدخل في شؤون هاته البلدان بدليل فض هذه النزاعات من طرق دول الاتحاد الأوربي و مثالها مالي خلال عام 2013 و التي شهدت صراعات داخلية دفعت بالعديد من الأفراد إلى هجرة بلدهم نحو موريتانيا و الجزائر بشكل واسع ، و سبق و أن تحدث "فيليب غونزاليس" رئيس الحكومة الإسبانية السابق عن الهجرة من إفريقيا حيث قال :لو كنت شابا إفريقيا لفررت و إن تم القبض علي فسأحاول مجددا [33].

5.3. خصائص،و تيارات الهجرة غير الشرعية:

إن وجهة المهاجرين في معظمها تكون إلى الدول الغنية و التي تتوفر على فرص عمل و ترتفع فيها الأجور مقارنة بالوضع في دولهم ، حيث اتجهت هذه الشرعية نحو أوربا ، و الولايات المتحدة الأمريكية[34]كما أن نحو نصف المهاجرين من شمال إفريقيا اتجهوا بالفعل إلى منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا حيث تشير أرقام إلى أن الدول العربية النقطية استقبلت حوالي 40 % من إجمالي المهاجرين وتتجه نسبة 10 % إلى دول أخرى كأستراليا ، كندا ...إلخ هذا من جهة و من أخرى فإن غالبية المهاجرين العرب إلى الدول الأوربية يأتون من دول المغرب العربي و تر كيا حيث تزيد هذه النسبة على 80 % وتعتبر هذه الهجرة مختلفة عن الهجرة نحو البلدان العربية بحيث أن الهجرة الأولى دائمة و الثانية مرتبطة بعقود و بالتالي مؤقتة و محدودة بفترة زمنية محددة و يعود بعدها الهاجر لالى موطنه الأصلي.

و في المقابل يقدر عدد المهاجرين نحو أوربا من شمال إفريقيا والشرق الأوسط بنحو 5.8 مليون نسمة

باستثناء اللذين لم يتم تسجيلهم ، و يعيش معظمهم في فرنسا وألمانيا بدليل أن هذين البلدين يستقبلان نحو 75 % من إجمالي مهاجري دول المنطقة العربية إلى أوربا و يتوزع بقية المهاجرين على نحو 23 دولة[35] ، أهمها هولندا و إسبانيا وإيطاليا و بلجيكا ،هذا و يواجه معظم المهاجرين نحو أوروبا صعوبات كثيرة من بينها صعوبة الاندماج و التثاقف و التماثل في المجتمع الجديد للبلد المهاجر إليه ، بالإضافة إلى ضعف مستوى التأهيل مقارنة بالمستوى السائد في أوربا ، و ما يزيد من تعقيد الأمور ظاهرة التمييز discrimination العلني و الخفي ضد المهاجرين و أبنائهم و تزايد حدة البطالة ، و مثال ذلك دولة ألمانيا التي بلغ عدد مهاجريها نحو 5 ملايين مقابل أعلى نسبة بطالة بها[36] ، في المقابل يصعب إيجاد فرص عمل لبعض المواطنين الأصليين للبلدان المهاجر إليها ، و ينظرون إلى المهاجرين كمنافسين لهم في سوق العمل ، و ذلك ما يولد حساسيات و مشاعر تساعد على شيوع أحكام مسبقة تحول دون إحداث عملية الاندماج الاجتماعي ، و التي تتطلب تقبل الآخر في المجتمع الجديد و مع تزايد أعداد المهاجرين، زادت المشكلات التي يواجهونها بسبب التفرقة و التمييز، وهذا ما دفع واضعي تقرير اللجنة الدولية إلى مطالبة الدول الغنية بوضع سياسة هجرة تضمن للمهاجرين حقوق العيش و العمل والاندماج في مجتمعاتهم الجديدة، و يعني هذا توفير فرص التعليم و التأهيل أسوة بغيرهم من الفئات الاجتماعية، كما يعني منحهم حقوق الإ قامة التي تسمح لهم بالعمل دون قيود ، بدلا من إقامة مؤقتة تحد من حريتهم ، و لا تساعد على اندماجهم في المجتمع الجديد، و يزيد كذلك من عملية دمج المهاجرين في مجتمعاتهم الجديدة و حاجة الدول الصناعية إلى اليد العاملة الشابة بسبب تراجع الولادات فيها لصالح زيادة نسبة كبار السن، وفي منظور بعيد يتوقع أن يخل هذا الأمر بالتركيبة السكانية في العديد من الدول الصناعية مما يهدد أنظمة التقاعد والضمان الاجتماعي فيها.

خـــاتـــمـــة:

إن موضوع الهجرة غير الشرعية موضوع سوسيولوجي صرف له طـــرح في المشـــهد الفكـــري والثقافي والإعلامي بالخصوص. كما أن الهجرة غير الشرعية تدل على أن المهاجر لم يمر عبر القنوات المخصصة للهجرة و لم يحترم القوانين المنظمة لها. وغادر إقليم بلده بطريقة سرية ،و في ذلك مخالفـــة القانون والانحراف عنه، أضف الى ذلك ما يترتب عن هذا الفعل من تبعات على البلـــدان المســـتقبلة المهاجر اليها أو البلدان المصدرة أي التي تمت منها عملية الهجرة غير الموثقة، ناهيـــك عـــن تبعـــات اقتصادية و اجتماعية و ثقافية ودينية، وأمنية بالخصوص. فانتشار الجريمة المنظمة والاتجـــار بالبشـــر و

المخدرات والأسلحة في الدول المهاجر إليهابسبب استغلال هؤلاء الوافدين الضعاف المحتاجين من قِبل مافيا الاتجار بالبشر، يمثّل واحداً

من الآثار السلبية التي يمكن أن تعانيها دول المهجر، كما يعانيها المهاجر نفسه، حيث يجد أنه قد قطع هذه الرحلة الصعبة في قوارب صيدية و قوارب الملاحة البحرية وما كابده من معاناة وألام ، ليجد حاله في ضياع, فيشعر باليأس والإحباط، ثم قد يلج بعد ذلك عالم الجريمة .

الهوامش :

1- أحمد الربايعية، دراسات في نظرية الهجرة، (عمان: دار الثقافة و الفنون للنشر، 1978)،06.

2- على الحوات و آخرون،" مجلة الدراسات" طرابلس: المركز العالمي للدراسات و الأبحاث، 28 (2007): 2.

3- Genève, bureau international du travail, rppt :une approche équitable pour les travailleurs migrants dans une économie mondialisée,2004.15-21.

4- على عبد الرزاق جلبي ،علم الاجتماع السكان، ط4، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،2005)، 207.

5- dictionary.com.unabridged.april 2011 www.dictionary.refrent.com

6- عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق ، 16.

7- جمال معتوق، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي: أهم النظريات المفسرة للجريمة و الانحراف، ج1، (الجزائر: دار بن مرابط للنشر و الطباعة، 2008)، 226.

8- جمال معتوق ، مرجع سابق، 276.

9- أحمد براح، "التغيرات الأسرية الناجمة عن هجرة رب الأسرة إلى الخارج"، (أطروحة دكتوراه، جامعة البليدة- الجزائر، 2003)، ص 37.

10 - عبد الله عبد الغني، مرجع سابق، 22.

11- بيلاربي، "الهجرة النسائية بين دول البحر المتوسط و الاتحاد الأوروبي"، يورميد للهجرة2 (2008-2011)، ص 28.

12- عبد الله عبد الغني، مرجع سابق، 19.

13 - بيلاربي، مرجع سابق، ص 27.

14- عبد الله عبد الغني غانم ، مرجع سابق، ص 34.

15- علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق، 261.

16- صبحي قاسم، مشكلة الغذاء في البلدان العربية، (الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1982)، 11.

17- علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق، 264.

18- أحمد الربايعية، مرجع سابق، 61.

19- أحمد الربايعية، مرجع سابق ،62.

20- إسماعيل أدم ، "الهجرة من إفريقيا إلى إفريقيا"، الشرق الأوسط، 9 مارس 2008

21- .أحمد طالب إبراهيمي ، "من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972"تر: حنيفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1972، .116

22- غياث بوثلجة، "التذمر الاجتماعي في الجزائر أسبابه و تداعياته"، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، الجزائر، 2007، 55.

23- الأزمات التي تواجه الأطفال و النساء في شرق و جنوب إفريقيا –تقرير بموقع اليونيسيف www.unicef.org/arabic

24- حمدي شعبان، الهجرة غير المشروعة :الضرورة و الحاجة،(مصر: مركز الإعلام الأمني)، 7، (بدون سنة).

25- صوت ألمانيا deutsche welle، www.dw-world.de

26- صوت ألمانيا، مرجع سابق.

27- الهادي أبو لقمة، الانفجار السكاني ، (ليبيا: منشورات جامعة السابع أبريل، 1993)، 35.

28 – إبراهيممهديد، بعض عناصر تفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا و مغربيا ، ورقة مقدمة في ملتقى وطني حول الهجرة الجزائرية، "المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة 1 نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 62.

29- comille rousset, « la conquête d'Alger », édition Plon, paris, 1879, pp 239-240

30- .علي وهب، الجغرافية البشرية ، (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر،1986)، 48.

31- صالح ربيح كردي، الأبعاد الاجتماعية و الثقافية لهجرة المصريين الريفيين لإيطاليا، (أطروحة دكتوراه ، جامعة عين شمس، مصر، 2005)، 12

32- النزاعات في إفريقيا، موقع وكالة الأنباء الكويتية، تقرير.

33- الزويريالسكناوي، الهجرة السرية بالمغرب لا يمكن عزلها عن الاحتجاج، جريدة الصحوة، 5-3-2005، ص 18.

34- عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض الكريم المبارك، الهجرة غير المشروعة و الجريمة ، الرياض: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2008)، 29.

35- عثمان الحسن محمد نور، ياسر عوض الكريم المبارك ، مرجع سابق، 30.

36 - نفس المرجع، 30.

المراجع :

1-احمد الربايعية،دراسات في نظرية الهجرة،(عمان:دار الثقافة والفنون للنشر،1978.

2-علي الحوات وأخرون ،"مجلة الدراسات" طرابلس:المركز العالمي للدراسات والابحاث،(2007)

3-علي عبد الرزاق جلبي،علم الاجتماع السكان،ط4،(الاسكندرية:دار المعرفة الجامعية،2005).

4-جمال معتوق،مدخل الى علم الاجتماع الجنائي:اهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف،ج1،(الجزائر:دار بن مرابط للنشر والطباعة،2008).

5-احمد براح،"التغيرات الأسرية الناجمة عن هجرة رب الاسرة الى الخارج"،(أطروحة الدكتوراه،جامعة البليدة-الجزائر،2003).

6-يلاربي،"الهجرة النسائية بين دول البحر الأبيض المتوسط والاتحاد الاوروبي"،يورميد للهجرة2(2008-2011)،ص28

7-صبحي قاسم،مشكلة الغذاء في البلدان العربية،(الأردن:مؤسسة عبد الرحمن شومان،1982)

8-اسماعيل ادم،"الهجرة من افريقيا الى افريقيا"،الشرق الأوسط،9مارس 2008.

9-احمد طالب الابراهيمي،"من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية1962-1972"، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1972.

10-غيات بوثلجة،"التذمر الاجتماعي في الجزائر أسبابه وتداعياته"،دار الغرب للنشروالتوزيع،1 (وهران،الجزائر55،2007).

11-الأزمات التي تواجه الأطفال والنساء في شرق وجنوب أفريقيا-تقرير بموقع اليونسيفwww.unicef.org/arabic

12-حمدي شعبان،الهجرة غير المشروعة:الضرورة والحاجة،(مصر:مركز الاعلام الأمني)،7 بدون سنة.

13-الهاد ابو لقمة،الانفجار السكاني،(ليبيا:منشورات جامعة السابع ابريل،1993).

14-ابراهيم مهديد،بعض عناصر تفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا،ورقة مقدمة في ملتقى وطني حول الهجرة الجزائرية،"المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1نوفمبر 1954،وزارة المجاهدين،الجزائر،2007.

15-علي وهب،الجغرافية البشرية،(القاهرة:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،1986).

16-صالح ربيح كردي،الأبعاد الاجتماعيةوالثقافية لهجرة المصريين الريفيين لايطاليا،(أطروحة دكتوراه،جامعة عين شمس،مصر،2005).

17-الزويري السنكاوي،الهجرة السرية بالمغرب لا يمكن عزلها عن الاحتجاج،جريدة الصحوة،5-3-2005،ص18.

18-عثمان الحسن محمد نور،ياسرعوض الكريم المبارك،الهجرة غير المشروعة والجريمة،الرياض:جامعة نايف للعلوم الامنية،2008)

19-dictionary.com.unabridged.april2011 www.dictinary.refrent.com

20-comille rousset,la conquete",édition plon,paris,1879.